فنون مشهدية

«ليلى» التي قُتلت ألف مرّة ميشال جبر... ما بعد بعد تشيخوف

منى مرعي

بعد عرض يتيم في مهرجان «مسرح المدينة» احتفالاً بعامه العشرين، يعيد المخرج والكاتب اللبناني وأستاذ المسرح في الجامعتين اللبنانية واليسوعية ميشال جبر تقديم «كيفك يا ليلى» على خشبة «مسرح مونو». العمل مونودرامي من تمثيل نيكول معتوق، المغنية والممثلة اللبنانية الشابة التي شاركت في عدد من المسلسلات اللبنانية وبعض المسرحيات.

تبدو خشبة «مونو» للوهلة الأولى متألقة، عابقة بروح العرض الذي لم يبدأ بعد. تُسدل شاشة الفيديو حيث يلتئم وجه نايلة للمرة الأولى. امرأة متزوجة ولها ولدان. عدم الارتياح بادٍ على الوجه. إنها تجربة أداء مع مخرج لا نرى وجهه، ولا ينفك يطرح أسئلةً عامة واستفزازية على ليلى، تنخر في مفاصل مؤثرة من حياتها الشخصية.

«حبيتي؟»، «كرهتي؟»، «خنتي؟». من العموميات إلى الأحداث المؤثرة وتفاصيلها والدور الذي تحب أن تؤديه. يسألها أن تستفيد من الفضاء كما تريد. يرى المُشاهد فضاء الخشبة على شاشة الفيديو في حالة ازدواج وتحضير لما سيلي. نايلة في حالة انصهار مع الشخصية التي تود أن تلعبها أي «نينا» في مسرحية «النورس» لتشيخوف، أو بالأحرى ليلى/ نينا شخصيتان تعشقان البحيرة، شغفتهما الخشبة، قُتلتا أكثر من مرة كالنورس، عاشتا تجربة الحمل والفقدان وفقد الذات والشغف بالمسرح وعدم الشعور بالحب. يطلب منها المخرج أن تمسك السيناريو وتقرأ، وإذ بها تقرأ العنوان «كيفك يا ليلى». تكمل قراءتها «خبريني كيف عشتي بجسمك حسب ما بتتذكري؟». هنا مكمن العمل بأكمله. يشكل هذا السؤال المحطة النهائية في الفيديو. تنتقل محاولة الإجابة على هذا السؤال على الخشبة، فيرى المشاهد ليلى منصهرة بشخصية نايلة التي تماهت في حالة شَبَه عامة مع نينا تشيخوف. تحاول ليلى في سياق العرض الإجابة على السؤال الجوهري: «كيف عشتي جسمك حسب ما بتتذكري». يغوص كاتب النص في منطق تحليلي نفسي يعيد ليلى إلى مرحلة الطفولة حيث تعاني من سمنة زائدة، مستعيناً بعقدة أوديبية الطالع. تتمظهر علاقة ليلى مع والدها الذي دفعها بسلوكياته إلى كره ما يمثله جسمها لها وصولاً إلى مرحلة المراهقة حيث معارك إثبات الذات. كلما كانت ليلى تثبت بمغامراتها الجنسية أنّ جسمها قادرٌ على الإثارة، كلما ابتعدت عنه أكثر. فعلت كل شيء: مارست الجنس مع النساء، دخلت الدير، أغرت «أنطونيوس أنا فهيم» أحد رهبان الدير وتفوقت في قدراتها الجنسية على أستاذها في علم النفس. تعاطت الحشيش ثم الهيروين فالكوكايين، قامت بعملية تنحيف، أدمنت على دواء السعال... فعلت كل هذا لتستعيد بعضاً من حبها لذاتها وحب الآخرين لها: حب والدتها التي لم تنتبه أنها اغتصبت، حب والدها لها، اهتمام الآخرين بها ككيان منفصل عن كيان زوجها وعائلتها، اهتمامهم بشخصها وفكرها بعيداً عن جسدها... كلفها هذا البحث عن الاهتمام تدميراً آخر للذات يضاف إلى سجل الجروح الذي لا ينتهي.

> نص حافل بمشاهد وحكايا أخاذة وجريئة ترابطت بسياق نفسي تحليلي

حفل نص ميشال جبر بمشاهد وحكايا أخاذة وجريئة ترابطت بسياق نفسي تحليلي يغوص في مسببات ردات فعل ليلى وقراراتها ويسهب في شرحها. أتى ذلك أحياناً على حساب درامية العرض الذي وقع في الميلودراما أحياناً، كما لم ينج من فخ إضافة أحداث بدت مفتعلة في سياق المشهد لمجرد الانتقال إلى الفكرة التالية كحدث التلفون الثاني حيث تنصح ليلى امرأة أن ترسل أحدهم إلى مركز المعالجة. أسهم في تأرجح درامية العرض تثبيت شخصية ليلى في موقع الضحية طوال الوقت، مما حدّ من أبعاد النص وتلويناته، وأثّر على أداء نيكول معتوق الذي كان متقناً (لا سيما في مشهد الفيديو ومشهد أبو قاسم): هل كان من الممكن أن نرى ليلى أكثر استمتاعاً بانتقامها من الآخرين، ثم في لحظة تناقض ما، تشعر بالندم والأسف على الذات؟ هل كان لها أن تظهر جانبها المشاغب من دون أن تقع في سرد أفعال المشاغبة بحد ذاتها؟ هل كانت تستطيع أن تنزوي أحياناً بذاتها مع كل تناقضاتها وأوجاعها على الخشبة وتبتعد عن لعبة التوجه الدائم إلى الجمهور أو إلى المخرج؟ أثر هذا الانشغال الزائد بالجمهور على علاقة ليلى مع فضاء الخشبة والسينوغرافيا، فاقتصرت تحركاتها طوال العرض على بقع محددة من الخشبة: ماذا تشكل تلك الخزانة المفتوحة على العالم التي رآها المشاهد في فيديو العرض وتجسّدت على الخشبة؟

يبقى القول إنّ العرض حافظ على هامش مثير من البوح. عرف كيف يشدّ المشاهد في جلسة مصارحة تغوص في أعماق حياة امرأة جلّ ما أرادته أن يسألها أحدهم: «كيفك يا ليلى»؟

* «كيفك يا ليلى»: 20:30 كل خميس، وجمعة، وسبت وأحد حتى 5 شباط (فبراير) ـ مسرح «مونو» (الأشرفية) ـ للاستعلام: 01/202422

نيكول معتوق في مشهد من العرض

جدل

شفيق السحيمي يهدد باللجوء إلى الجزائر

هل ضاقت الأرض بما رحبت على أهل الفن في المغرب، حتى باتوا يهددون بالخروج من البلاد وقطع كل صلة فنية تربطهم بها؟ هذا ما حدث أخيراً للمخرج والممثل المغربي شفيق السحيمي (1948) الذي خاطب الملك في تدوينة عرفت انتشاراً كبيراً على مواقع التواصل، ويبدو أن سببها الأول هو ما يشكو منه من «تضييق حول أعماله وابتزاز من لدن فيصل العرايشي المسؤول الأول عن قطاع الإذاعة والتلفزيون في المغرب»، إذ كتب: «إلى محمد السادس ملك المغرب، قرّرتُ اللجوء إلى الجزائر لأمارس حقي في الإبداع، وسأعمل كل ما يتيح لي منع بثّ أي صورة ولو واحدة من أعمالي في تلفزة العرايشي من الآن فصاعداً. يريدون أعمال شفيق السحيمي لا الشخص».

> حاولت أعماله تحقيق ذلك التقاطع بين الثقافات العالمية والوسط الاجتماعي المغربي

ويبدو أن تدوينة السحيمي كُتبت بكثير من التوتر واليأس، فهو يدرك ما معنى أن يتوجه بخطاب كهذا لرئيس البلاد، ملمّحاً إلى اختياره الجزائر كبلد للإقامة بدل المغرب، كأنما يعزف بذلك على وتر العلاقات السياسية المتذبذبة بين البلدين.

وأضاف السحيمي مخاطباً الملك على فايسبوك: «بلغني أن مدير قطبكم العمومي، بعدما تآمر على إبعادي من المغرب، سيشرع في إتمام تصوير مسلسلي «شوك السدرة» وبدوني وبدون احترام العقد الذي بيني وبينه، مصراً بذلك على هضم حقوقي المادية والمعنوية».

وكان السحيمي قد اتهم سابقاً فيصل العرايشي الرئيس المدير العام للشركة الوطنية للإذاعة والتلفزة المغربية بتلقي رشاوى وعمولات قد تبلغ نسبة 30 في المئة من ميزانية المسلسلات مقابل المصادقة على إنجازها. كما نشر عدداً من الفيديوهات على يوتيوب يفضح فيها ما سماه «الفساد المالي» في مؤسسة التلفزة المغربية. وسبق له أيضاً أن أحدث ضجة في وسط الدرك الملكي حين اتهم مسؤولاً في الجهاز - يشتغل أيضاً منتجاً فنياً بشكل خارق للقانون - بسرقة عتاد وظيفي. وليست هذه المرة الأولى التي يخرج فيها السحيمي باحتجاج كهذا، فقد سبق له قبل ثلاث سنوات أن أعلن عن اعتزاله الفن نهائياً لأسباب متداخلة منها «التضييق على حرية المواطن» حسب تعبيره، ومنع بعض أعماله. كما أذاع بداية الصيف الماضي خبر مغادرته المغرب للعيش في فرنسا، غير أن الجهات التي ظل الرجل يتصارع معها في الفترة الأخيرة واجهته بتهم متنوعة، منها التوقيع على شيكات بدون رصيد، وخيانة الأمانة، وعدم أداء المستحقات للعاملين معه. وقد نشر السحيمي بعدها تسجيلات تدفع عنه التهم وتشرح الكثير من التفاصيل المرتبطة بقضيته الشائكة.

على أي حال، للسحيمي تاريخ شخصي يختلف عن معظم فناني المغرب، فالرجل بدأ مناضلاً، بل عضواً نشطاً في المقاومة المسلحة. فور إنهاء دراسته الثانوية، التحق بحركة فتح الفلسطينية ثم الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، وشارك في معارك «أيلول الأسود» في الأردن ولبنان ضد إسرائيل بين 1968 و1971. بعد تلك المرحلة، سيسافر إلى باريس ليواصل الدراسة في المعهد العالي للفنون المسرحية، وينهي مشواره التعليمي هناك بالحصول على الدكتوراه نهاية الثمانينيات حول هوية المسرح المغربي. وستتوزع مهامه بين التدريس في جامعة باريس وجامعة محمد الخامس وإدارة «المعهد العالي للفن الدرامي والتنشيط الثقافي» في الرباط.

مع مطلع التسعينيات، غادر المغرب لمزاولة نشاطه المسرحي تدريساً وتأليفاً، ثم سيعود مع نهاية العقد ليكوّن فرقة «لام ألف» المسرحية تقاطعاً مع المجلة التحررية الشهيرة التي أسستها زكية داوود خلال الستينيات وحملت الاسم نفسه.

لم يتعرف المغاربة إلى السحيمي ممثلاً ومخرجاً، إلا مع بداية الألفية الجديدة حين قدم للمسرح المغربي «الوجه والقفا»، و«الشرادي»، و«المنزه»، و«عوم بحرك». إلا أن شهرته الحقيقية ستكون مع مسلسلاته التلفزيونية التي ستحقق نسب مشاهدة قد تكون هي الأعلى في تاريخ الدراما المغربية.

كان رهان السحيمي في أعماله التلفزيونية والمسرحية، تحقيق ذلك التقاطع بين الثقافات العالمية والوسط الاجتماعي المغربي، كأنما كان يريد أن يثبت أن مشاكل وصعوبات وتشعبات الحياة الاجتماعية هي ذاتها تقريباً لدى معظم الشعوب بغض الطرف عن الأبعاد الإثنية والدينية والسياقات التاريخية. لذلك، جاءت أعماله التلفزيونية مقتبسة من أعمال روائية بصمت تاريخ الأدب العالمي: «العين والمطفية» عن رواية للفرنسي مارسيل بانيول، «وجع التراب» عن رواية «الأرض» لإميل زولا، «صيف بلعمان» و«تريكة البطاش» عن «الإخوة كارامازوف» لدوستويفسكي، «شوك السدرة» عن «البؤساء» لفيكتور هوغو. الأمر ذاته ينطبق على مسرحياته التي كانت اقتباساً لأعمال كتّاب من أمثال تشيخوف وبريخت. غاص بأعماله الدرامية في عمق الشخصية المغربية سواء في الأرياف أو المدن، وعالج تيمات الصراع والمكر والتحولات السيكولوجية والسوسيولوجية بروح فنية جديدة كشف فيها عن موهبة كبيرة في الإخراج. كما فاجأ المغاربة بأدواره المميزة في الأعمال التي قدمها، خصوصاً شخصية «سيدي احمد» في سلسلة «وجع التراب» التي تقمص فيها السحيمي دور شيخ قروي تتقاذفه مشاكل الوسط الذي يعيش فيه.

التوتر الذي تعرفه تلك العلاقة القائمة بين المخرج شفيق السحيمي والجهات الرسمية المعنية بعرض الإنتاج الفني الوطني، ستترتب عنها خسائر عديدة لعل أبرزها حرمان الجمهور المغربي والمغاربي من أعمال تلفزيونية اجتماعية مميزة تعودت على متابعتها شريحة واسعة من محبي الدراما.

عبد الرحيم...